إبراهيم عليه السلام بعد الرد على أهل الكتاب فيما سبق من الآيات والعود إلى ذكرهم بعد خطب جليل وشأن خطير لتلك العبادة العظيمة وأستأنس بعضهم لكونه عبادة عظيمة بأنه من الشرائع القديمة بناءا على ما روى أن آدم عليه السلام حج أربعين سنة من الهند ماشيا وأن جبريل قال له : إن الملائكة كانوا يطوفون قبلك بهذا البيت سبعة آلاف سنة وأدعى إبن إسحاق أنه لم يبعث ا تعالى نبيا بعد إبراهيم إلا حج والذي صرح به غيره أنه ما من نبي إلا حج خلافا لمن أستثنى هودا وصالحا عليهما الصلاة والسلام وفي وجويه على من قبلنا وجهان قيل : الصحيح أنه لم يجب إلا علينا وأستغرب وأدعى جمع أنه أفضل العبادات لإشتماله على المال والبدن وفي وقت وجوبه خلاف فقيل : قبل الهجرة وقيل : أول سنيها وهكذا إلى العاشرة وصحح أنه في السادسة نعم حج صلى ا تعالى عليه وسلم قبل النبوة وبعدها وقبل الهجرة حججا لا يدري عددها والتسمية مجازية بإعتبار الصورة بل قيل ذلك في حجة الصديق رضي ا تعالى عنه أيضا في التاسعة لكن الوجه خلافه لأه صلى ا تعالى عليه وسلم لا يؤمر إلا بحج شرعي وكذا يقال في الثامنة التي أمر فيها عتاب بن أسيد أمير مكة وبعد ذلك حجة الوداع لا غير قل يأهل الكتاب لم تكفرون بإيات ا خاطبهم بعنوان أهلية الكتاب الموجبة للإيمان به وبما يصدقه مبالغة في تقبيح حالهم في تكذيبهم بذلك والإستفهام للتوبيخ والإشارة إلى تعجيزهم عن إقامة العذر في كفرهم كأنه قيل : هاتوا عذركم إن أمكنكم .

والمراد من الآيات مطلق الدلائل الدالة على نبوة رسوله صلى ا تعالى عليه وسلم وصدق مدعاه الذي من جملته الحج وأمره به وبه تظهر مناسبة الآية لما قبلها وسبب نزولها ما أخرجه إبن إسحاق وجماعة عن زيد إبن أسلم قال : مر شماس بن قيس وكان شيخا قد عسا في الجاهلية عظيم الكفر شديد الضغن على المسلمين شديد الحسد لهم على نفر من أصحاب النبي صلى ا تعالى عليه وسلم من الأوس والخزرج في مجلس قد جمعهم يتحدثون فيه فغاظه ما رأى من ألفتهم وجماعتهم وصلاح ذات بينهم على الإسلام بعد الذي كان بينهم من العداوة في الجاهلية فقال : قد أجتمع ملأ بني قيلة بهذه البلاد وا ما لنا معهم إذا أجتمع ملؤهم بها من قرار فأمر فتى شابا معه من يهود فقال : أعمد إليهم فأجاس معهم ثم ذكرهم يوم بعاث وما كان قبله وأنشدهم بعض ما كانوا تقاولوا فيه من الأشعار وكان يوم بعاث يوما أقتتلت فيه الأوس والخزرج وكان الظفر فيه للأوس على الخزرج ففعل فتكلم القوم عند ذلك وتنازعوا وتفاخروا حتى تواثب رجلان من الحيين على الركبأوس بن قيظي أحد بني حارثة من الأوس وهبار بن صخر أحد بني سلمة من الخزرجفتقاولا ثم قال أحدهما لصاحبه : إن شئتم وا رددناها الآن وغضب

الفريقان جميعا وقالوا قد فعلنا السلام السلاح موعدكم الظاهرةوالظاهرة الحرةفخرجوا إليها وأنضمت الأوس بعضها إلى بعض والخزرج بعضها إلى بعض على دعواهم التي كانوا عليها في الجاهلية فبلغ ذلك رسول ا صلى ا تعالى عليه وسلم فخرج إليهم فيمن معه من المهاجرين من أصحابه حتى جاءهم فقال : يامعشر المسلمين ا ا أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد إذ هداكم ا تعالى إلى الإسلام وأكرمكم به وقطع به عنكم أمر الجاهلية وأستنقذكم به من الكفر وألف به بينكم ترجعون إلى ما كنتم عليه كفارا فعرف القوم أنها نزغة من الشيطان وكيد لهم من عدوهم فألقوا السلاح من أيديهم وبكوا وعانق الرجال بعضهم بعضا ثم أنصرفوا مع رسول ا صلى ا تعالى عليه وسلم سامعين مطيعين قد أطفأ ا تعالى عنهم كيد عدو ا تعالى شماس وأنزل ا تعالى في شأن شماس وما صنع قل ياأهل الكتاب لم تكفرون إلى قوله سبحانه :